أكاديمي فلسطيني من غزة للوفاق:

استهداف صهيوني ممنهج للتعليم... ومبادرات تتصدى لسياسات التجهيل

الوفاق/ خاص
عبير شمص

حتى العِلم لم يسلم من عدوان الكيان الصهيوني، وأضحى من أبرز ضحاياه. وتُعتبر سياسة تدمير البنى التحتية للمؤسسات التعليمية قديمة جديدة، لكنها تجاوزت كل الحدود في هذه الحرب. فما ينتهجه العدو الصهيوني، على نحو متعمد، عبر اعتداءاته العسكرية، أدى إلى تدمير واسع النطاق وغير معهود، من أجل إلغاء البيئة التعليمية، عبر تدمير جميع مقومات التعليم، ويُعد الهدف الصهيوني من وراء ذلك هو التجهيل وجعل غزة منطقة غير صالحة للعيش ودفع سكانها نحو الهجرة، عبر تدمير البنى التحتية والتعليمية والصحية وكل مقومات الحياة. في هذا السياق التقت صحيفة الوفاق الأكاديمي الفلسطيني المختص في القانون الدولي والنظم السياسية الدكتور وسام عطاالله، وكان معه الحوار التالي:

استهداف ممنهج ومتكرر

لم يتمكن طلاب جميع المراحل في قطاع غزة بدءاً من المرحلة التمهيدية في قسم الروضات وما قبل الصفوف الابتدائية مروراً بالمرحلة الاعدادية والثانوية والجامعات، من اكمال العام الدراسي الحالي، فكل المؤسسات التعليمية في قطاع غزة تعطلت منذ السابع من أكتوبر/ تشرين أول، وفق ما ذكره الدكتور عطاالله الذي أوضح بأن الاحتلال الصهيوني استهدف كل شيء له علاقة بالعملية التعليمية في قطاع غزة، وعملية الاستهداف هذه متكررة على مر السنوات، فقد كانت هناك استهدافات ممنهجة على طول سنوات الصراع الفلسطيني الصهيوني في فترات الانتفاضة الأولى من عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٤ حيث شُلت العملية التعليمية وكثيراً ما كان يتم اقتحام المدارس واعتقال المعلمين ومدراء المدارس، وانتظم الطلاب في هذه السنوات في الدراسة لأيام قليلة جداً، ومع بدء انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ وحتى عام ٢٠٠٥ اجتاح الكيان الصهيوني مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة على حد سواء واستهدف العدو الصهيوني المؤسسات التعليمية فيهما ولم يقتصر استهدافه على الحجر بل استهدف أعداداً كبيرة من طلاب المدارس والجامعات الذين كانوا يقاومون الاحتلال بالحجارة وصدورهم العارية أمام الحواجز العسكرية".

مواجهة سياسة التجهيل

يشرح الدكتور عطاالله بأنه: "لم يقف الشعب الفلسطيني مكتوف الأيدي أمام هذا الاستهداف الممنهج، ففعّل مبادرات عديدة لإنقاذ العام الدراسي والوقوف ضد سياسة التجهيل الصهيونية الممارسة ضد المجتمع الفلسطيني، فنُفذت العديد من المبادرات الحكومية لإنقاذ العملية التعليمية في كل الحروب التي شنها العدو الصهيوني ضد قطاع غزة، وكان يتم بفعل هذه المبادرات استدراك العام الدراسي، رغم تدمير المدارس وقتل العديد من المدرسين ومحاولة تعطيل المؤسسات التعليمية. فالجامعة الاسلامية مثلاً في قطاع غزة استُهدفت وقُصفت في كل حرب، ولكن في الحرب الأخيرة والتي فاقت كل التصورات دُمرت الجامعة بالكامل، وكذلك جميع المدارس والجامعات الأخرى والمؤسسات التعليمية المختلفة، ولكن تحدى رؤساء الجامعات الفلسطينية هذا الاحتلال المجرم عبر وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية وبجهود من الجامعات أنفسها أنشأوا نظاماً يعرف بنظام "الطالب الزائر" بحيث يتمكن طلاب قطاع غزة من تسجيل موادهم الدراسية التي تتوافق مع الجامعات التي تتواجد في الضفة الغربية مثل طلاب القانون في الجامعة الاسلامية وفي جامعة الأزهر وجامعة غزة وجامعة فلسطين، يتسجل الطالب فيهم بصفة طالب زائر ويختار الجامعة التي يرغب الانتساب اليها إذا ماكانت الخطة الدراسية متقاربة من بعض، كي لا يذهب العام الدراسي سدى على طلاب الجامعات، وبالتالي تتم السيطرة على العام الدراسي على الصعيد الجامعي، وكذلك أعلنت الجامعات اصدار روابط عبر الانترنت الذين فقدوا شهاداتهم وأوراقهم لاستخراجها عبر الانترنت ليتمكنوا من التسجيل سواء في جامعات خارجية لمن نزح خارج قطاع غزة أو لاستخدامها لبرنامج الطالب الزائر مع الضفة الغربية، أمّا بخصوص المدارس بمختلف فئاتها فلا يوجد في القطاع كهرباء ولا انترنت وهم معزولين عن العالم الخارجي وبالتالي من الصعوبة بمكان استدراك العام الدراسي حالياً، فالحرب مازالت متواصلة كما أن المدارس كلها تم استهدافها وحرقها وتدميرها وتلك التي ما زالت تصلح للاستفادة منها لكنها أصبحت مراكز ايواء النازحين الذين دمرت بيوتهم، خلاصة الأمر أن وزارة التربية والتعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة تعملان بشكل كبير لاستدراك العام الدراسي قدر الامكان حتى أن الجامعات والدراسات العليا أجروا مناقشات رسائل الماجستير في قلب الخيم وفي أماكن النزوح حتى لا تتعطل العملية التعليمية".

استهداف ممنهج للكوادر العلمية

تابع الدكتور عطاالله حديثه بالقول: "تم اغتيال أكاديميين مميزين بشكلٍ مقصود وممنهج حيث استشهد ١٠٥ من الأكاديميين بينهم كبير أساتذة الجامعات الدكتور "سفيان تايه" رئيس الجامعة الاسلامية في غزة والدكتور "سعيد الزبدة" رئيس الكلية الجامعية واليوم استهدفوا بشكل واضح العديد من الأكاديميين المتميزين إذ بلغت أعداد الأكاديميين الذين ارتقوا شهداء ١٠٥، أمّا بخصوص المعلمين والاداريين في المدارس فيوجد في غزة ٤٠٠ معلم شهيد و ٣٠٠٠ جريح، هذا وقد اتهم الاحتلال الصهيوني بعض المعلمين أنهم شاركوا في هجوم في السابع من اكتوبر وبالتالي صنف الاونروا على إنها ارهابية وتضم موظفين ارهابيين، فمنع وقطع عنها التمويل المالي من الدول المانحة، ولم يعد يصل قطاع غزة المال عبر البنوك لأن النظام المصرفي الفلسطيني مرتبط بالنظام المصرفي الصهيوني، وهكذا يصر الاحتلال بتعطيل العملية التعليمية بكل استطاعته".

ويوضح الدكتور عطاالله الهدف من استهداف الكيان الصهيوني الممنهج للكوادر العلمية بأنه: "اعتمد الكيان الصهيوني استهداف الكادر التعليمي في القطاع لشل العملية التعليمية ولحرمان الطلاب من وجود كادر تعليمي لتدريسه وهذه الأهداف ممنهجة ومقصودة من الجيش الصهيوني ومن حكومته لخلق جيل يخضع لسياسة التجهيل المقصود، وكذلك استهدف العدو الصهيوني كل محطات الكهرباء والاتصالات والانترنت وذلك لخلق مشاكل متعددة ومركبة أمام المجتمع المحلي وأمام الحكومة الفلسطينية الذين يحاولون إيجاد حلول وطرق بديلة لاستمرار العملية التعليمية، فالعدو الصهيوني يحاول تعقيد المشهد أكثر عبر استهداف كل المرافق التي لها علاقة بامداد المؤسسات التعليمية من مدارس ووزارة ومديرية تعليم ومبان ادارية تستفيد من هذه المرافق حتى لا تكتمل العملية التعليمية".

شل العملية التعليمية أهم أهداف العدو

يرى الدكتور عطاالله بأنه: "شكل تدمير النظام التعليمية في غزة أهم أهداف الجيش الصهيوني الذي لم يستطع النيل من المقاومة الفلسطينية فقام بتدمير كل شيء له علاقة بالحياة وخاصة التعليم بحيث دمر المدارس والجامعات وكل البنى التحتية التعليمية فلا يمكن العودة للعمل في هذه المدارس والجامعات بل تحتاج لإعادة الإعمار من جديد بدءاً من البنية التحتية وصولاً إلى المباني والانشاءات، ويهدف العدو الصهيوني من ذلك على اجبار المواطنين الفلسطينيين على ترك أراضيهم في قطاع غزة وذلك عبر جعل الحياة مستحيلة، فالمواطن الفلسطيني يصمد على أرضه لكن الأب الذي لديه أطفال وطلاب مدارس يفكر في مستقبلهم وبمصيرهم ولا يستطيع تركهم عرضة للجهل وتدمير مستقبلهم."

مخالفة للقانون الدولي

يُعتبر الحق في التعليم للطلاب الفلسطينيين وفق الدكتور عطا الله حقوق مكفولة بالقوانين الدولية الانسانية وتُعتبر المدارس أعيان مدنية يُحرم ويُجرم استهدافها، فيُعد الحق في التعليم من أهم حقوق الانسان الذي حرص القانون الدولي وكل الأعراف الدولية على حمايته وقت السلم ووقت النزاعات المسلحة سواء النزاعات الداخلية مثل ما يحصل في السودان الآن أو النزاعات الخارجية بين دولتين مختلفتين مثل روسيا وأوكرانيا ومثل حرب غزة، وكل دساتير العالم نصت على الحق في التعليم وعلى أن أهم مبدأ من مبادئ القانون الدولي حفظ الكرامة الانسانية، ويعتبر التعليم من أساسيات هذه الكرامة إذ لا يمكن للانسان أن يعيش حياة كريمة وأن يتنعم بالكرامة التي وهبها له القانون دون أن يأخذ حقه في التعليم وفي كل مراحله، ولذلك يتعمد الكيان الصهيوني الى انتهاك هذه الحقوق وانتهاك حق الشعب الفلسطيني وطلابه وحرمانهم من العملية التعليمية وهو بذلك يضرب قواعد القانون الدولي الانساني والأعراف الدولية والانسانية وأخلاقيات الحروب والأعراف الدولية. وقد جرت العادة أثناء الحروب ألا يتم استهداف وتخريب المراكز التعليمية والمدارس والجامعات، وفي كل الحروب التي جرت لم نكن نسمع باستهدافهم إلاّ في فلسطين، بسبب النازية الصهيونية التي تستهدف كل مناحي الحياة، وبهذا تخترق "اسرائيل" قواعد القانون الدولي الانساني واتفاقيات جنيف وبروتوكول الأربع اتفاقيات وبروتكولاتها الملحقة، لذلك لا نستغرب عندما تتهم "اسرائيل" بجرائم الحرب وجرائم ضد الانسانية لأن استهداف العملية التعليمية من طلاب ومعلمين ومباني يعتبر ايضاً من جرائم الحرب".

جرائم حرب مركبة ضد الانسانية

يضيف الدكتور عطا الله بأن دولة جنوب أفريقيا رفعت دعوى ضد الإبادة الجماعية وضد ارتكاب العدو الصهيوني جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية، في مخالفة صريحة منه لميثاق روما الأساسي الذي انبثقت عنه المحكمة الجنائية الدولية والذي يختص بالنظر في أربعة جرائم وهي أفظع الجرائم التي عرفتها البشرية، وهي جرائم الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والعدوان وجرائم ضد الانسانية، كل هذه الجرائم ارتكبها العدو الصهيوني في غزة لليوم ٢٧١ على التوالي، وهذه جرائم لا تسقط بالتقادم مهما طال الزمن".

ويختتم الدكتور عطاالله بالقول: الاستهداف الصهيوني دائماً مقصود وممنهج ضد العملية التعليمية تجاه المنشآت والمدارس والجامعات واتجاه الكادر التعليمي من أساتذة ومدراء مدارس ورؤساء جامعات ومن حيث الامداد الاداري واللوجستي وكل ما يتعلق بالعملية التعليمية، لذا فالاستهداف يكون بشكل ممنهج بحيث يشلّ العملية التعليمية والتدريسية واسرائيل تتبع دائماً هذا الأسلوب ولكن هذه الحرب فاقت كل الأوصاف وفاقت كل ما سمعنا عنه في تاريخ الحروب المدمرة، والكيان الصهيوني أصبح سابقة في الإجرام لم يسبقه أحد من العالم في ذلك".

الاستهداف الصهيوني دائماً مقصود وممنهج في شل العملية التعليمية والتدريسية وتجهيل المجتمع الفلسطيني

سيرة شهيد

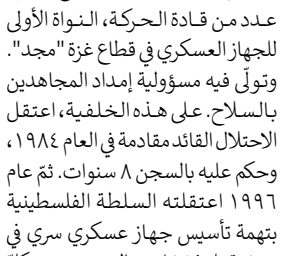

٢١ عاماً على اغتيال الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة

"الحركة تمتلك القيادات والإمكانيات الكثيرة، وإذا ما فقدت الحركة قائدًا من قادتها، يمكن أن تعوضه، إلا في حالة الدكتور المقادمة، فلا أعتقد أن الحركة بإمكانها أن تعوض مثل شخصيته مهما ملكت من القدرات والطاقات". كانت هذه كلمات القائد الشهيد عبد العزيز الرنتيسي بحق القائد الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة بعد شهرين على شهادته.

سيرة الشهيد

ولد الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة عام ١٩٥٠، من عائلة تعود جذورها الى مدينة "بيت دراس" في الداخل الفلسطيني المحتل عام ١٩٤٨. سكن في قطاع غزّة، ثمّ انتقل الى مصر لدراسة طب الأسنان. وهناك تعرّف وانضم الى الإخوان المسلمين. ثم عاد الى غزّة بعد تخرجّه ليكون من بين المقربين من مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس، الشيخ الشهيد أحمد ياسين. فشكّل القائد المقادمة، الى جانب عدد من قادة الحركة، النواة الأولى للجهاز العسكري في قطاع غزة "مجد". وتولّى فيه مسؤولية إمداد المجاهدين بالسلاح. على هذه الخلفية، اعتقل الاحتلال القائد مقادمة في العام ١٩٨٤، وحكم عليه بالسجن ٨ سنوات. ثمّ عام ١٩٩٦ اعتقلته السلطة الفلسطينية بتهمة تأسيس جهاز عسكري سري في غزة. قبل فترة اعتقاله، تعرّضت كلّ قيادات حركة حماس لحملة اعتقالات، تبعها إبعادهم الى مرج الزهور في لبنان أواخر العام ١٩٩٢. فتولّى القائد المقادمة في تلك الفترة مسؤولية قيادة الجهاز العسكري. وتُسجّل له الحركة بصمةً في تطوّر عملها، اذ تضمنت الفترة أيضًا عمليات ردّ الحركة على اغتيال المهندس يحيى عيّاش والتي نفّذت ضدّ أهداف الاحتلال في القدس المحتلّة. أمنيًا، أولى القائد المقادمة اهتمامًا كبيرًا بالاحتياطيات الأمنية. فاستخدام أساليب مختلفة في التنكر والتمويه مثل تغيير الملابس والسيارات التي كان يستقلها وكذلك تغيير الطرق التي يسلكها، حتى عُرف عنه أنه كان يقوم باستبدال السيارة في الرحلة الواحدة أكثر من مرة. كما كان قليل الظهور في الإعلام.

بناء الثقافة

شكّلت سنوات اعتقاله وخاصة في سجون الاحتلال الفرصة للتفرّغ أكثر في الجانب الثقافي وبناء الكوادر الواعية بالقضية الفلسطينية ومواجهة الاحتلال. فأسسّ "جامعة يوسف" داخل السجن ووضع برنامجها الثقافي، وكان يلقي وبعض من رفاقه المحاضرات بشكل دوري. كذلك، ألّف عدة كتب ودراسات في الأمن، وهو داخل السجن وخارجه، منها: "معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين"، ودراسة حول الوضع السكاني في فلسطين المحتلّة تحت عنوان " الصراع السكاني في فلسطين". وقد نشط في الفترة الأخيرة قبل استشهاده، بتقديم الدروس السياسية والفكرية والدينية لأبناء الحركة.

الشهادة

في الثامن من شهر آذار / مارس عام ٢٠٠٣، اغتال الاحتلال القائد المقادمة عبر إطلاق طائراته الحربية ٥ صواريخ تجاه سيارته في شارع "اللبابيدي" في مدينة غزّة. واستشهد الى جانبه ٣ من مرافقيه وعدد من المواطنين المدنيين.